١- الإمام محمد بن سعود

محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المُرَيْدي. ولد في حدود عام ١١٠٠هـ (١٦٨٩م)، وتولى إمارة الدرعية عام ١١٣٩هـ (١٧٢٧م) بعد ابن عمه زيد بن مَرْخان. وكان من صفاته التدين والوفاء، حيث ساند ابنَ عمه زيدًا وعمل لدعمه ومساندته في مدة إمارته. وقد كانت الأوضاع في نجد غيرَ مستقرة؛ بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، وبسبب الخلافات بين بلدات نجد. بعد توليه الإمارة عمل الأمير محمد لترتيب الأوضاع فيها والحفاظ على تأمين طرق التجارة والحج، وأصبحت إمارة الدرعية في عهده أقوى إمارات نجد المستقلة التي لم تتأثر بسلطة القوى الإقليمية. تأسست الدولة السعودية الأولى على يديه في عام ١١٣٩هـ (١٧٢٧م) وأيَّدَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نصرة الدعوة.

أصبح محمد بن سعود بعد تأسيس الدولة يعرف بالإمام، وقد حكم الدرعيةَ بعد تأسيس الدولة نحوَ اثنتين وعشرين سنة، قضاها في توحيد أجزاء الدولة السعودية الأولى في نجد، وواجه دهام بن دَوّاس في الرياض وحكام الأحساء. كان لزوجته موضي بنت أبو وَهْطان تأثير كبير في تربية أبنائه وتهيئتهم للعمل في المجال السياسي الذي كانت تعيشه الدرعية. توفي الإمام محمد عام ١١٧٩هـ (١٧٦٥م) بعد أن استطاع توطيد الأمور في نجد، وأصبحت الدولة السعودية الأولى مهيأة للانطلاق نحو توحيد كافة أجزاء الجزيرة العربية. يعد الإمامُ محمد رمزَ الوحدة السعودية فهو المؤسس الأول للدولة، وله أثر كبير في تدعيم نفوذها وترسيخه.

٢- سعود الكبير

سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود هو ثالث أئمة الدولة السعودية الأولى، وقائد جيوشها في عهد والده عبدالعزيز، وقد بويع بولاية العهد عام ١٢٠٢هـ (١٧٨٨م). كان له أثر كبير في تحقيق انتصارات كبيرة على أعداء الدولة والقضاء عليهم، فقد دخل بجيوشها الأحساءَ والحجاز. وبعد توليه الحكم عام ١٢١٨هـ (١٨٠٣م)، أتم توحيد الحجاز ودخلت الجيوش السعودية مكةَ وأصبح خادمًا للحرمين الشريفين بعد إنهاء نفوذ العثمانيين. داوم سعود على الحج سنويًّا طوالَ حكمه. وقد لقب بالكبير؛ دليلًا على ما وصلت إليه الدولة في عهده من عظمة واتساع، حيث كانت تمتد من أطراف الفرات والشام شمالًا حتى صنعاء ومسقط جنوبًا، ومن ساحل الخليج العربي شرقًا حتى البحر الأحمر غربًا، ووصلت الدولة في عهده إلى مستويات عالية من الثراء والعز والقوة.

كان سعود عالمًا كبيرًا، ويدل على ذلك مراسلاته مع ولاةَ الدولة العثمانية في العراق والشام، وكتابُه إلى السلطان العثماني سليم الثالث. كما كان يُلقي الدروس العلمية في الدرعية وفي مكة عند بقائه فيها لأداء الحج. استطاع سعود الكبير دحر حملات والي بغداد إبّان حكم والده، ولكن بعد بدء الحملات العثمانية الغازية التي أرسلها محمد علي من مصر، انسحب سعود من معظم الحواضر في الحجاز وواجه تلك الحملات وحقق انتصارات كبيرة. توفي الإمام سعود عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤م).

٣- البَيْعَة

تعد البيعة من أسس نظام الحكم الإسلامي حيث تقوم على المعاهدة بين الحاكم والشعب، وعلى بذل السمع والطاعة للحكام، وهي ترمي إلى حفظ المجتمع وتأسيس دولة. فقد ورد في الحديث النبوي قوله ﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعة مات مِيتةً جاهلية"؛ وهو ما يبرز منزلة البيعة في الحياة العامة.

اعتمدت الدولة السعودية منذ تأسيسها على نظام البيعة للحاكم، وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود بايع الناس الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وتبدأ مبايعة الأمراء ثم العلماء وأهل الحل والعقد ثم عامة الناس. استمرت البيعة أساسًا من أسس الحكم في الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية. ثم في المملكة العربية السعودية، فبعد أن استرد الملك عبدالعزيز الرياض استقبل والدَه الإمام عبدالرحمن من الكويت وجرت البيعة للملك عبدالعزيز في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض. واستمر نهج البيعة للملك وولي العهد بعد وفاة الملك عبدالعزيز.

وتكون البيعة في الأغلب بعبارة: "نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح رحمهم الله". وتمثل البيعة كذلك صورة مميزة لكونها تعبر عن الولاء والتلاحم بين الحاكم والشعب.

٤- العَوْجَا

للنخوة في الجزيرة العربية ارتباط بحياة الناس وتأثير فيها؛ ذلك أنها من الأمور التي تنمّي فيهم الفخر والاعتزاز، وتحفزهم للدفاع عن الناس أو الديار، أو للحث على الاجتماع في مكان معين. كانت النخوة في الماضي تُطلَق لنداء الناس من أجل خوض الحروب الدفاعية والهجومية، ولتعزيز الروابط المجتمعية. وأضحت النخوةُ أهزوجةَ النصر وعنوانَه، ويُعَبَّرُ عنها بعدة إطلاقات في القصائد والعَرْضات والصَّيْحات.

أما لفظة (العَوْجا) اليوم فهي وصف مرتبط بالدولة السعودية منذ أن تأسست في دورها الأول، ذلك أنها ارتبطت بالدِّرْعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، واستمرَّت إلى اليوم نخوةً أساسية للسعوديين. والعوجا وصفٌ أطلق على الدرعية بسبب اعوجاج مسار وادي حنيفة عند وصوله إلى الدرعية حيث تقع أحياؤها على ضفتيه.

كما أن (العوجا) صفة تثير الحماس في نفوس أبناء الوطن؛ لكونها ترمز إلى الوحدة وحب الوطن؛ لارتباطها بمنطلق الدولة وأساسها وهي الدرعية. كذلك كانت تطلق عند طلب الناس للاجتماع والدفاع عن الدولة، فيأتون من كل مكان. واليوم تطلق للفخر والاعتزاز بهذا التاريخ العريق تاريخ الاستقرار والأمن والدولة القوية.

ويعبَّر عن هذه النخوة بعدد من العبارات، مثل: (خَيّال العوجا)، و(أهل العوجا) و(أهل التوحيد)، و(راعي العوجا)، و(خَيّال العوجا وأنا ابن مقرن).

ومما قيل في التغني بالعَوْجا:

يا راكبٍ حمرًا من العوجا هَميم تجْفَل إلى شافَتْ سمار ظلالها

وقول الآخر:

سِـرْ ومَلْفـاك العوجـا مسيـرة ديـرة الشيـخ بلّغْـه السـلام

٥- مانع المُرَيْدي

أسست عشيرةُ المرَدَة من الدّروع من بني حَنيفة مدينةً لهم أطلقوا عليها اسمَ (الدِّرْعية) نسبة للعَشيرة، وذلك بعد أن هاجروا من وسط الجزيرة العربية إلى شرقها. ولكن بعد قيام الدولة الجَبْرية في أوائل القرن التاسع الهجري بدأ ضغطهم يشتد على المنطقة ونفوذُهم يتعاظم، خصوصًا بعد أن دخلوا القَطيف عام ٨٤٣هـ (١٤٣٩م). هذا الأمر جعل حاكمَ الدرعية مانعًا المُرَيْدي يرغبُ في الهجرة من المنطقة إلى منطقة أخرى، وقد صادف ذلك دعوة من ابن عمِّه حاكم مدينة حَجْر في اليمامة وهو ابن دِرْع الذي طلب منه القدوم بالعشيرة للاستقرار مرة أخرى في وادي حنيفة. لاقت هذه الدعوة صدًى مناسبًا لدى مانع المريدي.

قرر مانع وأفراد عشيرته الانتقال من دِرْعية الشرق إلى وسط الجزيرة لتأسيس الدرعية الجديدة عام ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)، وقد عَبَرَ في رحلته من شرق الجزيرة العربية رمالَ الدَّهْناء القاحلة، مؤمنًا بشخصيته المستقلة الراغبة في البعد عن التبعية لأي قوة؛ وهذا ما أورثه أبناءَه من بعده. بعد ذلك وصلت القافلة إلى مناهل رِماح الواقعة شرق وادي حنيفة ثم ساروا للقاء أبناء عمومتهم وزعيمهم ابن درع. استقبل ابن درع أبناءَ عمه في وادي حنيفة واتفق الزعيمان على إعادة مجد الآباء الذين استقروا في المنطقة وأمّنوا طرق التجارة والحج. أقطع ابنُ دِرْع مانعًا موضعَي غُصَيْبَة والمُـلَيْبِيْد اللذين يقعان شمال غرب مدينة حَجْر، فجعل مانعٌ غصيبةَ مقرًّا له ولحكمه وبنى لها سورًا، وجعل المليبيد أرضًا للزراعة. يعد هذا الحدث أبرز أحداث الجزيرة العربية، فقد كان قدوم مانع اللبِنَةَ الأولى لتأسيس أعظم دولة قامت في تاريخ الجزيرة العربية بعد دولة النبوة والخلافةِ الراشدة.

٦- موضي بنت سلطان أبو وَهْطان

زوجة الإمام محمد بن سعود ووالدة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولها الأثر الأكبر في تربيته وتنشئته. ويعود نسبها إلى آل كثير من آل فضل من طيِّئ، وهي من أسرة معروفة من أسر الدرعية. اشتهرت بالحكمة ورجاحة العقل والذكاء، ويدل على ذلك موقفها التاريخي عند وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية.

فعندما وصل الشيخ إلى الدرعية واستقر في بيت ابن سُوَيْلِم، رأى الأخير أن الحل الأفضل لمفاتحة الأمير محمد عن القادم الجديد أن يكون من طريق زوجته موضي، فاستنصر بأَخَوَي الأمير محمد، وهما: ثُنَيّان ومشاري، اللذَينِ حدّثاها بالأمر من طريق ابنها عبدالعزيز. وفي المساء وبعد دخول الأمير إلى بيته، وبعد أن رأت موضي أن الوقت مناسب للتحدث بالأمر، فاتحته وحدثته بأمر الشيخ ونصحته بأن ينصره، وأن يتولى هذا الأمر؛ لأنه الأحق بذلك، فقد كانت موضي متفائلة بقدوم الشيخ، ورأت فيه خيرًا؛ وهذا يدل على بعد نظرها. فلقد استقرت الأوضاع في عهد الإمام محمد بن سعود ووقف التناحر على الإمارة في الدرعية وأمِّنَتْ طريق التجارة والحج للمارين بالدرعية. وكان لكلمات موضي أثر كبير في تشجيع الإمام محمد بن سعود على تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

عُنيت الأميرة موضي بالعمل الخيري ومساعدة المحتاجين، ولعل أبرز أثر لتلك العناية هو سبالة موضي في حي الطُّرَيْف، وهو المبنى القريب من قصر سَلْوى الذي بناه الإمام عبدالعزيز بن محمد وقفاً لوالدته موضي للعناية بالمحتاجين والفقراء وطلبة العلم والمسافرين.

٧- البَيْـرَق:

تطلق لفظة البيرق على العَلَم والراية، فقد كان عَلَم الدولة السعودية الأولى قطعةَ قماش خضراء اللون مطرّزة، كُتب عليها عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكانت تُعقد على سارية بسيطة، واستمرّ حملها على هذا النحو لدى أئمة الدولة السعودية الأولى. وكان الإمام عبدالعزيز وابنه سعود يبعثان من يحمل الراية أو البيرق لعرضها في مكان معين حيث يعد هذا المكان موقعًا لاجتماع القبائل وإيذانًا ببدء حملات التوحيد. وقد سار على هذه الطريقة أئمة الدولة السعودية الثانية، فقد كان الإمام تركي بن عبدالله مؤسسُ الدولة السعودية الثانية يكتب لأمراء البلدان يأمرهم بالخروج والاجتماع في مكان معين، وتُخرج الراية من قصره فتنصب قريبةً من باب قصر الحكم في الرياض قبل خروجه بيوم أو يومين.

وفي عهد الملك عبدالعزيز كانت الراية في أول عهده في جزئها الذي يلي السارية بيضاءَ، وفي الجزء الباقي خضراء، وكانت مربعةً تتوسطها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ويعلوها سيفان متقاطعان، ثم تغير شكلها فجُعل تحت كلمة الشهادتين سيفٌ واحد، وكتب تحته عبارة (نصرٌ من الله وفتحٌ قريب).

أما اليوم فعلَم المملكة العربية السعودية مستطيل الشكل، وعرضه بمقدار ثلثي طوله. أرضيته خضراء، وتتوسطه عبارة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بخط الثُّلُث، وتحتها رُسم سيف مسلول أبيض، قبضتُه متجهة نحو سارية العلَم، ولا يجوز تنكيسه حتى في مناسبات الحِداد، ولا ملامسته الأرض احترامًا للشهادة المكتوبة عليه.

٨ - قصر سَلْوى

أسسه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٧٩هـ (١٧٦٥م)، إذ بدأ بناءه في آخر حياة والده الإمام المؤسس محمد بن سعود وانتقل إليه بعد وفاة والده، ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من حي الطُّرَيْف في الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ويعدّ من أهم المعالم التاريخية في عهدها، حيث كان مقرًّا لحكامها. بُني القصر لمواكبة التطور الذي شهدته الدولة السعودية الأولى، حيث امتد نفوذها إلى مساحات شاسعة من الجزيرة العربية، وهو ما جعلها وجهةً للوفود والزوار الذين يُفترض أن يستقبلهم حاكمها في قصر ملائم.

سُمّي قصر سَلْوى بهذا الاسم لنمطه المعماري وتعدد منافعه فكأنه يُسَلّي الساكنَ فيه والزائرَ له ويُذهِبُ الهمَّ والحزن. يحدُّ القصرَ شمالًا وادي حنيفة، وجنوبًا قصرُ الإمام عبدالله وإخوانه، وشرقًا بيتُ المال، وغربًا مسجدُ الطريف، وتقدّر مساحته التي بُني عليها بعشرة آلاف متر مربع. ويعد هذا القصر أكبرَ قصور مدينة الدرعية خصوصًا، ومنطقة نجد وما جاورها عمومًا.

بُني قصر سلوى من سبع وحدات معمارية شيدت نِسبُها بإتقان ومهارة، وتعدّدت طوابقه مع أن ذلك لم يكن مألوفًا في ذلك الوقت. ففي عهد الإمام سعود زادت مساحة القصر وشموخه بسبب زيادة عدد وحداته المعمارية، وفي عهد الإمام عبدالله بن سعود أضيفت وحدات أخرى جديدة للقصر.

ويشكل قصر سلوى منظومة معمارية متكاملة بوحداته السكنية والإدارية والحضارية والدينية، فهو يتكون من عناصر سكنية ومسجد ومجلس للإمام وغرف خدمات وجسور تربط بين هذه العناصر المعمارية، وهي مرتبطة جميعها بممرات جانبية وعلوية في تصميم معماري متميّز يعكس أسلوب العمارة التقليدية المحلية.

٩- برج فيصل:

هو مَعْلَمٌ بارز من مَعالم الدرعية التاريخية، وهو من الأبراج التي أنشأها أهلُ الدرعية تُحيط بمدينتهم لحمايتها وتحصينها من الاعتداء الخارجي، ويقع موقعًا إستراتيجيًّا في الجهة الشمالية الغربية للطُّرَيْف، فكان بمنزلة برج المراقبة. يتمكن الناظر من نوافذه المثلثة الشكل من متابعة ما يحدث خارج البلدة ومن معرفة قَدْر عُدة العدو وعتاده، كما يمكن من خلالها رمي الأعداء بالبنادق ونحوها.

كان لبرج فيصل حضور في مواجهة قوات إبراهيم باشا الغازية في عهد الدولة السعودية الأولى، وذلك عندما تحصن فيه الأمير فيصل بن سعود بن عبدالعزيز مع رجاله للدفاع عن الدرعية أمام الهجمات الوحشية، حيث حصل بينهم وبين أعدائهم قتال شديد أثبت فيه فيصل ومن معه من المدافعين شجاعة نادرة، ولكن بعد توالي ضربات العدو اضطر فيصل بن سعود لمغادرة البرج والنزول أسفل وادي حنيفة لمواصلة القتال ولكنه أصيب برصاصة من مكان بعيد مات على إثرها شهيدًا رحمه الله. واليوم ما زالت بقايا برج فيصل شاهدة على الصمود الملحمي للدرعية أمام الهجمة القوية والحملة الوحشية.

١٠- بَخْروش بن عَلّاس

من أشهر رجالات الدولة السعودية الأولى بخروش بن علاس الذي عينه الإمام عبدالعزيز على بلاد زهران، شارك مع الدولة السعودية في العديد من الحملات التي ثبتت حكم الدولة في العديد من المناطق.

من مواقفه المشهودة أنه عندما زحف العثمانيين من الطائف إلى بلاد زهران تولى بخروش مقاومتهم والتصدي لهم، بمساعدة من رجال المنطقة، وقد تميز أسلوبه في القتال بالمباغتة في أنصاف الليالي.

ومن أهم المعارك التي خاضها ضدّ العثمانيين معركة وادي قريش زهران عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) التي بلغ فيها قوام الجيش العثماني عشرين ألفًا، في حين كان جيشه يقارب عشرة آلاف مقاتل، ومع هذا هزمهم شر هزيمة بعد أن قتل منهم في يوم واحد ألف رجل؛ وهو ما جعل العثمانيين ينسحبون إلى الطائف.

حاول العثمانيون الذين في جنوب الجزيرة العربية القبض على بخروش وبعد أن عجزوا لجؤوا إلى القبض على أفراد من قومه وسجْنِهم واشتراطِ تسليم بخروش في مقابل إطلاق سراحهم. وبعد أن وصلتهم الأخبار أنه في بيته دخلوا عليه وهو أعزل ونائم وقبضوا عليه وأرسلوه إلى القنفذة عام ١٢٣٠هـ (١٨١٥م). وفي اليوم التالي قابل قائد الحامية هناك فسأله: لماذا فعلتم بجنودنا ما فعلتم؟

فرد بخروش في ثبات: أنتم غزاة مجرمون ومن حقنا مقاومتكم.

فرد قائد الحامية: وأنا سأعاملك بما أريد.

فأمر بسجنه في نفس الخيمة التي كان مسجونًا فيها طامي بن شعيب، وفي إحدى الليالي والجنود نائمون تمكن من استدراج أحد الحراس حتى استطاع الإمساك به ثم خنقه حتى الموت، ثم لاذ بالفرار، فعرف الجنود بذلك فطاردوه وألقوا القبض عليه بعد أن قتل منهم ما قتل. ثم أمر الجند بقتله عن طريق وخز جسمه بالحراب حتى ينزف ويموت بطيئًا.

وتذكر الروايات أنه وعلى الرغم من طريقة قتله الشنيعة إلا أنه لم يتوسل ولم يطلب الرحمة بل ظل ثابتًا حتى مات، ودفن جسده بالقرب من القنفذة وأرسل رأسه إلى القاهرة حيث طيف به الشوارع مع عزف الموسيقى ورفع الأعلام.

١١- رُحَمَة الجَلاهمَة

عين الإمام سعود بن عبدالعزيز شيخَ الجلاهمة من العتوب رحمة بن جابر الجِلْهِميّ أميرًا على قلعة الدمام؛ حتى يتولى تثبيت نفوذ الدولة السعودية في تلك المناطق المتاخمة للخليج العربي. فقد كان رحمة يملك قوة بحرية وأتباعًا كُثرًا، ذكر بروس المقيم الإنجليزي في بُوْشِهْر أن عدد أتباعه الذين نزلوا معه الحلَيْلَة الواقعة قرب بوشهر عام ١٢٣١هـ (١٨١٦م) قرابة خمسمئة أسرة.

وقاد رحمة أسطول الدولة السعودية الأولى البحري، وعمل لدعم القواسم في المنطقة، كما دعم الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمة وزوّده المقاتلين والسفن والذخيرة في سبيل دعم النفوذ البحري للدولة السعودية؛ وهو ما جعل رحمة يعد واحدًا من أتباع الدولة السعودية الأولى، فوجهت بريطانيا حملاتها البحرية ضده وضد القواسم، حيث خشيت بريطانيا من سيطرة القوة البحرية السعودية على الخليج العربي؛ وهذا سيؤثر على النفوذ البريطاني؛ لذلك عاملت رحمة والقواسم على أساس أنهم قراصنة تجب محاربتهم. لكن رحمة تمكن من صد العديد من الحملات البحرية البريطانية والفارسية في المنطقة.

وبعد سقوط الدولة السعودية الأولى نزل رحمة الدمام وحاول الدخول في مصالحة مع زعماء المنطقة مثل بني خالد في الأحساء والبحرين وغيرها، إلا أنهم لم يرحبوا به، فوجهت له العديد من الحملات البرية والبحرية عام ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) لعل أشهرها حربه على ماجد بن عريعر الذي انضم له عبدالله بن خليفة وسفن من أهل البحرين مع أحمد بن سلمان بن خليفة، حيث خرج رحمة لملاقاتهم على ظهر سفينته الغطروشة بعد أن ترك ابنه بشر في قلعة الدمام لمواجهة الحملة البرية. واجه رحمة الحملة البحرية وحدث بينه وبين أحمد بن سلمان قتال شديد قتل فيه كثيرون، حتى صبت ميازيب السفينتين بالدم، ثم ثار البارود في سفينة رحمة واحترقت، وقد مات في تلك الوقعة.

١٢- شِدَيِّد اللوح

شديد بن ناصر بن فهد اللوح النبهاني الكثيري الفضلي: هو أحد قادة الدفاع عن الدرعية بعد وصول جيش إبراهيم باشا إليها في جمادى الآخرة عام ١٢٣٣هـ (١٨١٨م). كان (شِدَيِّد) من أهل الصّفَرّات ومن الموالين للدولة السعودية الذين قرروا الدفاع عنها حتى الرمَق الأخير. تولى قيادة إحدى الفرق المتمركزة في حِصْن من حصون ناظرة قرب حي غُصَيْبَة. وحينما نقل إبراهيم باشا معسكره إلى قرَيّ قصِيرْ (الروم) أصبح في مواجهة (شديد)، وقد جرت معارك هائلة بين الطرفين. كان شديد يعلم أن إبراهيم باشا سوف ينكل بالمدافعين كما فعل ببلدان نجد الأخرى؛ لذلك رأى أن يضرب أروع أمثلة الاستبسال والدفاع عن المدينة. فحينما بدأت المعارك بين الطرفين للسيطرة على الحصن، استطاع شديد ومن معه رد هجمات جيش إبراهيم باشا نحوَ ثلاثة أشهر.

عرض إبراهيم باشا على (شديد اللوح) الأمانَ من أجل تسليم الحصن، فرأى شديد ومن معه من المدافعين أن يقبلوا بالصلح ويسلموا الحِصْن، خصوصًا أن الأوضاع بدأت تزداد سوءًا على الرغم من نجاحهم في صد الهجمات، وذلك لأن جيش الأعداء يتلقون جميع أنواع المؤن اليومية من غذاء وسلاح وعتاد، في حين أن (شديد اللوح) ومن معه تنقص ذخيرتهم ومؤونتهم كل يوم. في الوقت نفسِه كانت دفاعات الدرعية قد بدأت تتهاوى أمام الهجمة الوحشية لجيش إبراهيم، فما كان من شديد إلّا أن قَبِلَ الصلح وسلّم الحصن، لكن إبراهيم باشا نكث بوعده الذي قطعه لشديد وأمر بقتله هو ومن معه حينما لم يَرَ أي ذخيرة معهم.

١٣- العَرْضَة

تُعد العَرْضَة أحدَ أبرز الفنون الشعبية المنتشرة في معظم أرجاء الجزيرة العربية، خصوصًا في نجد والخليج العربي، والغرض الأساس من العرضة هو الاستعراض أو العرض العسكري، ومن هنا جاء هذا الاسم. عرفت العرضة منذ القِدَم، ويقال: إن قبيلة بني حنيفة كانوا يضربون الطبول في معاركهم ضد أعدائهم. فالعرضة رقصة الحرب ولكنها تُلعب في الحرب وفي السِّلْم، ولها أنواع متعددة جميعها خاصة بالرجال؛ لكونها تثير حَماستهم للحرب، ولها أثر في إبراز شجاعتهم.

من الممكن ربط العرضة العسكرية بقيام الدولة السعودية وتوسُّعِها وامتدادِها واعتزاز أفرادها بانتمائهم لهذه الدولة، وارتبطت أيضًا بدفاع السعوديين أمام جيوش الدولة العثمانية التي غزت الجزيرة العربية؛ فدافع أبناء الجزيرة عن أرضهم بكل شجاعة وتكاتفوا وضربوا أروع أمثلة البسالة والحَماسة. وقد استمرت العرضة في عهد الدولة السعودية الثانية وعهد المملكة العربية السعودية، وأصبحت رمزًا للشجاعة والإباء والفخر. ارتبطت العرضة ارتباطًا كبيرًا بالملك عبدالعزيز الذي عُني بها عنايةً كبيرة؛ لأنها العرضة الرسمية للمملكة العربية السعودية ولأنها تتميز بطابع خاص في أدائها ولباسها.

وقد وصف عباس محمود العقاد العرضة في عهد الملك عبدالعزيز قائلًا: "إنها من أحب الرياضات إلى الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وهي رقصة الحرب التي يرقصها النجديون وهم مقبلون على الميدان، وهي رقصة مَهيبة مُتّزنة، تثير العزائم وتُحْيي في النفوس حرارةَ الإيمان، ويتفق أحيانًا أن يستمعَ جلالته إلى أناشيدِها ويرى الفرسانَ وهم يرقصونها فتهزه الأريحيةُ ويستعيدُ ذكرى الوقائع والمعارك؛ فينهض من مجلسه ويزحزحُ عقالَه ويتناول السيفَ وينزل إلى الميدان مع الفرسان، فترتفع حَماستهم حين ينظرون إلى جلالته بينهم".

ويُعَدّ السيف عمادًا للرقصة، حيث لا يمكن إتمام العرضة دونه، وفي الوقت الحاضر يلبس الراقص في العرضة (مِحْزمًا)، في حين يتطلب الأمر ضرورة تسخين الطبول إما بوضعها في الشمس أيام الصيف، وإما بتسخينها على نار هادئة إذا كانت العرضة تقام شتاء، أو كانت ليلًا في غياب الشمس؛ حتى يكون وقع قَرْعِها عاليًا وجميلًا، وبالإيقاع الذي يوافق إنشاد الصفوف.

واشتُهِرت الدرعية بإتقان أهلها هذا الفن، وكانت فرقة الدرعية حاضرة في أغلب مناسبات الدولة، إضافة إلى أن أهالي محافظتي الخَرْج وضَرَماء اشتهروا بعشقهم العرضة وإجادتهم تأديتها.

وقد اشتهرت قصائد عدة مصاحبة لهذه الرقصة الشعبية، ومنها قصيدة للشاعر محمد العوني:

مِنِّي عليكم يا هل العو جا ســـلام واختص ابو تركي عَمَى عين الحَريب
يا شيخ باح الـصبر من طول المقام يا حامِي الوَنْدَات ياريْف الغَرِيْب
اضرب على الكايد ولا تَســمع كلام العز بـالقَلْطَـات والرَّاي الصِّـلِيْـبْ

١٤- معركة الصفراء

وقعت معركة الصفراء في عام ١٢٢٦هـ (١٨١٢م) وهي واحدة من أهم معارك الدولة السعودية الأولى ضد قوات محمد علي الغازية التي بدأت في الحجاز، وقد سماها بعضهم بمعركة الخِيْف، وقعت المعركة في وادي الصفراء على بعد ١٠٠ كيلومتر من المدينة المنورة. حيث وصلت قوات محمد علي الغازية بقيادة طوسون إلى يَنْبُع وسيطرت عليها، فأرسل الإمام سعود بن عبدالعزيز جيشًا بقيادة ابنه عبدالله مع عدد من رجالات الدولة السعودية مثل مسعود بن مضَيّان الحربي، وعثمان المُضَايِفِيّ، وهادي بن قَرْمَلَة وغيرهم.

أعد الإمام عبدالله بن سعود قائدُ الجيش خطةً لمواجهة حملة طوسون، فجعلَ مسعود بن مضيان مع أهل الوشم في أول الطريق للقادمين من ينبع ليكونوا أولى الطلائع للمواجهة، ثم أمر بحفر خندق عند مضيق وادي الصفراء ووضع في أعلى الجبل فرقة من أهالي الحجاز يقودها عثمان المضايفي، وأن يتمركز الإمام عبدالله في أسفل الوادي مع قواته.

وبدأت المواجهة فهاجموا أولًا مسعود بن مضيان، وطالت الحرب بينهم وبينه وانتصر طوسون وقواته، لأن القوتين غير متكافئتين، ظن بعدها طوسون أن الطريق سالك ومفتوح فانطلق إلى وادي الصفراء لتبدأ المواجهة الثانية، ولما رأى طوسون وقواته أنهم لن يستطيعوا الوصول إليهم، أخذوا يرمون بالقُبُوس دون جدوى. ثم انطلقوا إلى الجبل المتمركز فيه عثمان الذي تركهم حتى اقتربوا منه فرماهم فقتل عساكر كثيرة، ثم مال الأتراك إلى الجانب الأيمن من الجبل، فانهزم من كان على الجبل، واشتد الأمر على السعوديين وطلبوا المساندة.

وفي اليوم الثاني من المعركة أبلى السعوديون وقاتلوا بشدة فقتلوا من الأعداء كثيرًا، ورميت القذائف من أعلى الجبل على الجنود، فقتلت كثيرين، وانتشر الذعر واختلت صفوف جيش طوسون ثم اضطروا إلى الانسحاب إلى ينبع، وقد غنم السعوديون منهم المدافع والخيام والذخائر، وبلغ عدد قَتْلاهم أربعة آلاف جندي، وقَتْلى الدولة السعودية ستمئة رجل، منهم هادي بن قرملة، ومانع القحطاني، وراشد الهاجري.

أرسل طوسون خبر هزيمته إلى أبيه وذكر أن السبب هو خلاف وقع بين قواده وتقصيرُهم، ثم طلب المدد من والده، فرد والده باستدعاء قادة الجيش المسؤولين عما حصل.

١٥- غالية البقمِيَّة

امرأة اشتهرت ببسالتها وشجاعتها بعد أن أبلت بلاءً حسنًا في مواجهة القوات التي أرسلها محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، وهي غالية بنت عبدالرحمن بن سلطان الغرابيطي الرماثيني البدري الوازعي البقمي، من قبيلة البدارَى البقُوْم الساكنين قرب الطائف في بلدة تُرَبة، وهي فيما ذكرت بعض الروايات زوجة حمد بن عبدالله بن محْيِي السناني المورکي البقمي، عامل الدولة السعودية الأولى على مدينة تربة البقوم في غرب الجزيرة العربية، ثم بعد وفاة زوجها يُذْكَر أنها تزوجت بخيت بن جنَيّح شيخ الهمَلَة، وكانت امرأة ذكية حكيمة قد ورثت من أبيها ثروةً طائلة وأموالًا كثيرة دعمت بها البقوم للدفاع عن ديار قومها، ويشير بعض المؤرخين إلى أنها كانت في متوسط العمر في أثناء حملة محمد علي الغازية على تربة، ويقال: إن محمد علي باشا قال بعد معاركه الطويلة هناك وعند مروره بتربة في طريق رنية وبيشة وأبها: "أمست دار غالية خالية".

وتعددت الروايات لقصة غالية وبطولاتها، ومضمونُها مجملًا هو انتصاراتها على جيش الباشا، وهذا لم يختلف عليه أحد، ولا شك أنّها عاصرت في بعض مراحل حياتها توترًا وفوضى؛ ففي عام ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) أغار طوسون ابن والي مصر محمد علي باشا على مدينة تربة بين الحجاز ونجد ومعه عساكر كثيرون جدًّا، وفي هذه الأحداث كان الشيخ ابن محْيِي مريضًا، وكانت غالية هي التي توصل خطط المعركة لقادة البقوم في بيت الشيخ، فكان النصر للبقوم وانهزم طوسون ومن معه، وقُتل أكثر جنده.

وفي عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) عاد طوسون باشا وعابدين بك وغزوا تربة، ووصّلت غالية الخطط للقادة زعماء ومشايخ البقوم ودامت المعركة ثمانية أيام مُني على إثرها طوسون وعابدين بك بالهزيمة ولم يظفروا بشيء، وكان زوج غالية قد توفي في أول المعركة الثانية سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م)، فأخفت خبر وفاته، وبدأت تصدر الأوامر على لسانه حتى تحقق النصر للبقوم.

وعندما بلغ محمد علي باشا خبر هزيمة ابنه طوسون، وإخفاق قواد جيشه، قرر قيادة المعركة بنفسه فجهز جيشًا كبيرًا على مستوى عالٍ من العُدة والعتاد، فأرسلت غالية رسالةً إلى الإمام عبدالله بن سعود الكبير حاكم الدرعية آنذاك، مفادها أن محمد علي باشا قد جهز جيشًا كبيرًا لا طاقة لنا به، وهو في طريقه إلينا على رأس مئة ألف مقاتل، وعلى الفور أرسل الإمام عبدالله بن سعود أخيه فيصل بن سعود على رأس جيش من عشرين ألف مقاتل من أهل تربة الفوارس الشجعان، ومن عشرين ألف مقاتل من أهل الجنوب وتهامة البواسل الفرسان، ووقعت المعركة، ولكن كانت النتيجة هي الهزيمة في معركة (بَسْل) الشهيرة، وكان ذلك في عام ١٢٣٠هـ (١٨١٥م).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها اختلف المؤرخون في مصير غالية وما آل إليه أمرها؛ فمنهم من قال: إنها ذهبت إلى الدرعية وأقامت بها، وسارت قافلتها على ثمانية وعشرين جملًا محملة بالزاد والذهب والفضة، ومنهم من قال: إنها عادت إلى مسقط رأسها تربة وأقامت في قصرها الواقع على طريق تربة – الطائف. وهكذا تنتهي الأخبار المتواترة عن هذه المرأة التي ملأت قلوب خصومها رهبةً وخوفًا بعد أن جندلت الكتائب والجيوش الغازية ليخلد التاريخ كفاح غالية البقمية في الحفاظ على وطنها وأبناء عشيرتها.

١٦- الخراب

يقول جون فيلبي حينما زار الدرعية عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) بعد نحو مئة سنة من تدميرها على يد إبراهيم باشا وجيشه: "وصلنا حافة وادي حنيفة، ووقفنا أمام أنبل أثر في الأراضي السعودية كلها، إنها مدينة الأموات... المباني القديمة، التي تعرضت للضرب لا تزال قائمة، دعامة هنا، جدار هناك، قوس متهالك، ممر غير مأهول، كل ذلك يشكّل صورة رائعة للخراب".

كانت الدرعية أعظمَ مدينة نشأت في وسط الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ، وكانت عاصمة لأعظم دولة قامت منذ نحو ألف عام من نشأتها، وقد ازدهرت تلك الدولة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية، وأسست دولة لم تعرفها الجزيرة العربية منذ زمن بعيد. لكن كل تلك العظمة جرى إنهاؤها وتدميرها بهجوم إبراهيم باشا الوحشي على الدرعية. كان الصمود الأسطوري الذي أبداه المدافعون عن الدرعية المخلصون بقيادة الإمام عبدالله بن سعود والأسرة السعودية مما زاد حنق الباشا ومن معه؛ فقرروا الانتقام من المدينة وأهلها. أتت الأوامر من القاهرة بالانسحاب وتدمير الدرعية فأصدر الباشا أوامره إلى الجيش بتدمير كل مناحي الحياة فيها؛ فجرى إحراق المزارع والنخيل وهدم البيوت وإحراقها. كان الباشا يقصد من هدم الدرعية هدم الوحدة السعودية، ولكنه لم يعلم أنها كانت أقوى بكثير من أفعاله.

بعد انسحاب الجيش العثماني، أصبحت لفظة (الخراب) ملازمة لما تبقى من موقع الدرعية؛ بسبب الخراب الهائل الذي أصابها خصوصًا حي الطُّرَيْف. ومن المعروف أن إبراهيم باشا سكن قصر الإمام عبدالله بن سعود بحي الطريف تسعةَ أشهر، ولكنه حينما انسحب أمر بهدمه كله. كما كان لتهجير أهالي الدرعية وخوف بعضهم من العودة إليها أثر كبير في هجر المنطقة وإهمال إعادة إعمارها؛ فعُرفت المنطقة باسم (الخراب) حتى وجّه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز (حينما كان أميرًا على الرياض) بالعناية بالموقع وتغيير اسمه إلى الطريف؛ فنُسيت اللفظة السابقة وعُرف الموقع بالطريف أو الدرعية التاريخية.

١٧- سوق المَوْسِم

يقع هذا السوق في الدرعية في وادي حنيفة بين حي الطُّرَيْف من الجهة الغربية وحي البُجَيْري من الجهة الشرقية، وعُرف باسم (سوق الموسم)؛ لكثرة الحوانيت التي يحويها هذا السوق، ولأنه عاملُ جذبٍ مهم يجتمع فيه عدد كبير من الناس. وقد ذكره المؤرخ ابن بشر ووصفه بأنه "مد البصر لا تسمع فيه إلا دويّ النحل من النجناج وقول بِعْتُ واشتريتُ". ويقصد بالنجناج: الحركة.

يتخذ السوق موقعًا إستراتيجيًّا فهو قريب من أهم حيَّيْنِ في الدرعية (الطريف والبجيري) الواقعين في طرفي الوادي، وقد كانت الحوانيت فيه مبنية من القصب وسعف النخل. كان السوق زاخرًا بالبضائع، ويتميز بنشاط الحركة التجارية، حيث كانت تأتي إليه البضائع من مناطق شتى، مثل العراق والشام وعُمان واليمن، ونتيجةً للحركة التجارية النشيطة ارتفع طلب الحوانيت حتى وصلت أسعار الإيجارات إلى أربعة ريالات في اليوم الواحد في ذلك الوقت.

لم يتوقف دور السوق على الحركة التجارية فقط، بل أصبح ايضًا مكانًا للتعلم، فقد كان للإمام سعود بن عبدالعزيز مجلس درس يوميّ يعقده في هذا السوق مع شروق الشمس، فيجتمع له خلق كثير من أهل الدرعية، ولا يتخلف منهم إلا قليل، وقد كانوا يجلسون في فصل الصيف عند الدكاكين الشرقية، وفي فصل الشتاء عند الدكاكين الغربية.

١٨- طريق الحاج

يعد الحج من أعظم شعائر الحنيفية، وقد أمر الله سبحانه به منذ أيام إبراهيم ﷺ، وقد كانت اليمامة طريقًا للمارين باتجاه مكة منذ سالف الأيام. وبعد ظهور الإسلام الذي جعل الحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وتوسع الدولة الإسلامية، أصبحت اليمامة من أبرز طرق الحاج للقوافل الآتية من شرق العالم الإسلامي.

بعد تأسيس الدرعية عام ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)، أصبحت أبرزَ محطات التوقف لطريق الحاج؛ وذلك لموقعها الإستراتيجي وتوافر المياه والغذاء فيها، ولوجود السلطة السياسية القوية، حيث كان لها الأثر الأكبر في حماية القوافل وتأمين الطريق من المفسدين وقطاع الطرق؛ وقد دلت على ذلك وثيقة عثمانية في عام ٩٨١هـ (١٥٧٣م) تحدثت عن أثر شيخ الدرعية إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي في تأمين وصول الحجاج إلى مكة المكرمة بكل يسر وسهولة وطمأنينة.

بعد قيام الدولة السعودية الأولى وتوسعها في نجد وقدرتها على ضبط الأمن فيها والقضاءِ على كل مظاهر الانفلات الأمني، أصبح طريق الحاج للقادمين من شرق العالم الإسلامي، الطريقَ الأفضلَ والأمثل، ومن القصص التي تُروى عن ذلك موقف الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود حين علم أن أحد اللصوص سرق كيساً به مال لحاجٍّ أعجمي فكتب إلى الإمام عبدالعزيز يخبره بذلك، فأرسل الإمام إلى زعماء القبائل وأمراء المدن وطلب منهم البحث عن السارق وإلا فإنه سيودِعُهم السجنَ. طلب هؤلاء من الإمام أن يمهلهم للبحث عن السارق، فلما أخبروه باسمه طلب مالَه وكان سبعين من الإبل فباعها ووضع ثمنه في بيت مال المسلمين، ووجد الكيس كما هو، فأرسله الإمام عبدالعزيز إلى أمير الزُّبَير، وطلب إيصالَه إلى صاحبه في ديار العَجَم.

هيئة تطوير بوابة الدرعية ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لهيئة تطوير بوابة الدرعية، ولا يسمح بطبع هذه القصص أو أي جزء منها أو نسخها أو إعادة نشرها أو استخدام نصوصها دون إذن خطي من الناشر مالك الحقوق الفكرية: هيئة تطوير بوابة الدرعية.